التشريفة

- يا فندم الحالة اللي معايا في حالة حرجة جداً، وعايز ألحق أوديها المستشفى !!

لم يستمع له صاحب النسر والسيفين المتقاطعين والمتلألئين على وهج أخر ضوء منسحب خجلاً من أشعة الشمس الهاربة من صرامته العسكرية، وهي تلملم أخر خيوطها البنفسجية وتتوارى خلف الأفق، حينما نهر المسعف في حدة وانفعال وقسوة متحجرة انسحقت معها كل مشاعره الآنسانية :

- لما التشريفة تعدي يا بني أدم، واطفي السرينة اللي دوشتنا دي !!

لم تشفع له سرينة الإسعاف بأن يفتح لها الإشارة كي تمر الحالة إلى المستشفى القريب من تلك الإشارة، كي يتم إنقاذ الإنسان المستسلم بداخلها للموت الناشب أظفاره في جسده

الواهـن !! تقاطـرت عـلى وجـه الصـارم المتجهـم أضـواء ملونـة لإعـلان فيلـم لعبـده موتـه :»شـد أجزاء«فصبغـت قسـمات وجـه بألـوانٍ حمـراء وصفـراء وبرتقاليـة، يغطيهـا الـكاب اللـزج بعـرق وقوفـه لسـاعات طـال فيهـا انتظـار مـرور التشريفـة مـن مـكان خدمتـه !! وانسـحب رجـاء المسـعف خوفـاً مـن تلـك النظـرات الناريـة التـي صوبهـا تجاهـه :

– مـا يمـوت يـا سـيدي، وأنـا أعملـه أيـه !! واطفـي السرينة دي، بـدل مـا أجـي أكسرهـا عـلى دماغك !!

كفـت سرينـة الإسـعاف عـن إرسـال إغاثتهـا، بعدمـا يأسـت عـن العـزف عـلى أوتـار إنسـانيته، ولكـن أهازيـج وطبـول شـباب الأولـترس ارتفعـت يسـتعجلون المـرور كـي يدركـوا أماكنهـم في الإسـتاد لمشـاهدة المبـاراة النهائيـة لنهائـي الـكأس، وتداخلـت مـع زغاريـد وأغـاني سـيارة نقـل محملـة بعفـش عروسـة، وضـج الميـدان بضجـر كلاكسـات قائـدي السـيارات المحتجزيـن في الإشـارة لمـا يقـرب مـن سـاعة حتـى تمـر التشريفـة !!

بينـما الحالـة الحرجـة اذدادت سـوءً مـن طـول الانتظـار، وعجـز الطبيـب المصاحـب لهـا في السـيارة مـن إسـعافها !! النبـض أخـذ في الخفـوت رويـداً رويـداً، والأنفـاس التـي كانـت تتلاحـق مـن تحـت كمامـة الاكسـجين القابضـة عـلى الأنـف، بـدأت تتـلاشي شـيئاً فشـيئاً !! ممـاً دفـع الطبيـب بـأن يفتـح

الباب في تهور وجنون، ويندفع بكل هوسه وصراخه نحو صاحب النسر والسيفين المتقاطعين محتداً في غضب محموم :

- أفتحوا الطريق !! الحالة بتموت يا ظلمه ؟!!

لكن صراخه ضاع سدى وسط ضجيج الشارع، وصراخ الكلاكسات وهتاف وأهازيج الأولترس، وأغاني سيارة العفش !!»قولي يا فندي أقولي يا بيه، قافلين الإشارة ليه؟!! سيبونا نعدي سيبونا نفوت قبل ما نخليها موت !!»

- بيدٍ مرتعشة متشنجة، وبصوتٍ ممزوج بالعصبية والضجر، خرج صوته عبر اللاسلكي، يستفسر عن سبب تأخير التشريفة حتى الآن :

« سوء الأحوال الجوية يا باشا٠ هو اللي مخلي الطيارة مش عارفه تنزل في المطار !»

- طب والناس اللي عقلها طار من حواليَّ دول، أعمل فيهم إيه ؟!!

« الناس تستنى يا باشا .. وابقى الوضع على ما هو عليه !!»

- يا باشا الحالة اللي معايَّ بتموت، أرحمها وخليها تفوت !!

- الماتش ها يبدأ يا باشا، خلينا نعدي، خلينا نفوت !!

وأخذ كورال الأولترس يردد في زهق وحده :»خلينا نعدي، خلينا نفوت !! قبل ما نخليها دم وموت !!»

– يا باشا عايزين نفرش العفش .. علشان نلحق نفرح بكره بالعروسين !!

– حرام عليكم !! مصالحنا اتعطلت يا هووووه !! هو الوقت مالهوش تمن في البلد دي ؟

تكاثرت عليه الأصوات وحاصرته، فتخبط في قراره، ولم يعد يدري ماذا يفعل وتقاطر ألوان الإعلان على وجه فزادته جهامة وتحول وجه للاحمرار !! فصوب نظرات نارية محمومة تجاه الجميع، ولاذ بالصمت وسيلة تحميه من غضب المحتجزين في الإشارة !! حتى رجاء المسعف وهو يستنجد بالطبيب، لم يفعل أمامه شيئاً :

– ألحقني يا دكتور الحالة قطعت النفس !!

أرتفع هتاف شباب الأولترس محتداً وهم يقتحمون الإشارة :

– توت، توت، توت، إمتى نعدي إمتى نفوت !! توت، توت، توت، الناس م التشريفه ها تموت !! توت، توت، توت، الحالة اللي معنا بتموت !!

توت، توت، توت .

وانضم إليهم والمسعف والطبيب يهتفان في غضب مستعر :

- تـوت، تـوت، تـوت، دي روحهـا صعـدت للملكـوت!! تـوت، تـوت، تـوت، مـش هـا نخـاف م النبـوت !! تـوت، تـوت، تـوت، ولـو هـا نخدهـا علقـة مـوت، تـوت تـوت تـوت !! يـالا نعـدي يـالا نفـوت !!

القاهرة في / الثلاثاء ١٢ / ٤ / ٢٠١٦